التي قضاها بمدينة لينينغراد ، وتسمو فروعها في رسائل شوق بعثت بها مناضلة لامها . وما يصل بين هاتين الفترتين هو التداعي ، الذي اختزل المسافة الزمنية الكبيرة ، ودغمهما في لحظة نفسية واحدة .

ويؤكد رأينا — من جهة ثانية — لجوء أميل حبيبي في احدى القصص للحكاية الشعبية ، دون غيرها من القصص . فهي اذن قصة ذات مخاض مختلف عن مخاض القصص الاخرى . في حين ان العمل الروائي ، المتكامل ، تنسكب اجزاؤه في ظل معاناة واحدة ، وعبر انهمار فكري وفني متواصل .

يبقى السؤال الذي طرحناه في البداية حول وجه اللبس امام هذا العمل ، والحقيقة ان المقارنات قد تسعفنا في بعض الحالات ، ومن جملتها هذه الحالة .

فلو نظرنا في القصص الغربي لوجدنا نموذجا مماثلا للسداسية ، لا من حيث المضمون ، ولكن من حيث الشكل . أعني به مجموعة قصص للكاتب الامريكي جون شتاينبك عنوانها : « مراعي السماء » . فهي عبارة عن قصص قصيرة الا انها تشترك — جميعها — في حمل مضمون متشابه ، مضمون فكري واحد . وتدور احداثها في بيئة واحدة ، وتتكرر فيها بعض الاسماء ، وقد حار النقاد فعلا في الاجابة حول سؤال حول ما اذا كان الكتاب مجموعة قصصية او رواية .

وفي أدبنا العربي نجد مثالا لهذه الحالة ، فتحس غسان كنفاني « عن الرجال والبنادق »(٤) مجموعة لوحات تشكل كل واحدة منها قصة قصيرة. ولكن ينتظمها جميعا خيط فني واحد هو الفكرة والبيئة . وربما تكرار بعض الاسماء . وفعل غسان كنفاني الشيء ذاته في « أم سعد »(٥) التي درسها بعض النقاد مع الروايات ، ودرسها بعضهم مع القصص القصيرة(٦).

وعندما يتساءل الباحث عن الحوافز التي تجعل القاص يلجأ لهذه الطريقة لا يجد اجابة مقنعة ، ولكننا نستطيع ان نستنتج من قراءة هذه النماذج أمرا قد ينطوي على شيء من الصحة . وهو ان هذه الاعمال تعبر عن مراوحة الكاتب بين الفنين ازاء موضوع واحد يناسبه كلاهما .

ففي « مراعي السماء » أراد شتاينبك ان يصور مخاوف قرية من القرى من الاشباح . وهو موضوع يستطيع ان يعبر عنه في رواية كما يستطيع ان يعبر عنه في قصص قصيرة ، وعندما لم يجد فرصة كافية لاختيار الاحسن اضطر تحت ثقل المضمون ان يراوح بين الفنين فكتب قصصا قصيرة تطمح ان يكون لها شكل الرواية ، وقوتها .

وحين كتب غسان كنفاني «عن الرجال والبنادق» اراد ان يصور نضال شعب . وهو موضوع يستطيع ان يعبر عنه في الرواية كما يستطيع التعبير عنه في قصص . ولما كانت مشاغله الصحافية اليومية ترهقه وتمنعه من الاسترسال في التصور والتركيب لجأ الى هذا الشكل السريع : ان يكتب قصصا قصيرة تطمح ان يكون لها شكل الرواية ، وقوتها.

وهناك وجه شبه بين اميل حبيبي وغسان كنفاني غير تشابههما في الانتماء ، وهو العمل الصحافي . ومن أجل ذلك نستطيع التكهن بأن اميل حبيبي لجأ تحت ثقل المضمون الى تصوير التقاء الفلسطينيين ببعضهم تحت ظل الاحتلال من خلال أعمال فنية سريعة التشكيل ، لكنها تطمح — في المدى البعيد — ان يكون لها شكل الرواية ، وقوة الرواية .

خلاصة الامر اننا لا نستطيع الاتفاق مع القائلين بأن السداسية رواية قصيرة ، او رواية فحسب. والصحيح ان يقال : ان السداسية عبارة عن ست قصص قصيرة ، ينتظمها مضمون واحد ، وتدور احداثها في بيئة واحدة .

وهي — في المدى البعيد — تطمح ان يكون لها من الشكل شكل الرواية . ومن القوة قوة العمل الروائي .

وبعبارة أوجز نستطيع القول : ان السداسية ارخت لفترة المراوحة بين القصة القصيرة والرواية عند اميل حبيبي ، فأيهما الذي سيغلب عليه ؟؟ هذا ما سنعرفه عند قراءة العمل الثاني : « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » .

[٢]

عندما يتساءل المرء عن ابرز الاركان التي تقوم عليها الرواية فانه يجد عدة كتب حاولت الاجابة